فرق تسد

معتصم أبوالغيث

دائماً ما تستهل الدول الطامعة مشاريعها الخارجية في بلدانٍ أخرى، بعبارةٍ قصيرةٍ تقول: "فرق تسد"، فمن أجل أن تأكل دجاجةً ما، عليك أن تمضغها لقمةً بعد لقمة، أما أن تمضغها دفعةً واحدة، فذلك من المحال، وتلك المشاريع الخارجية ليست إلا كشخصٍ جائع طامع، أتى ليأكل خيرات هذا البلد ويهضمها هضماً. ومن المعلوم أن اليمن بلدةٌ طيبةٌ خيرة، ودائماً ما شكلت خيراتها مطمعاً لدى العديد من الدول الطامعة منذ الأزل، ولعل من أبرز تلك المطامع، ما نعيشه اليوم في وطننا المكلوم، من تنافسٍ للكثير من الدول الطامعة، وتكاثر مشاريعها الخارجية على أرضنا!

إننا وبالعودة إلى القرن السادس للميلاد، نجد التاريخ وقد سجل لنا خلال تلك الفترة، حدث احتلال الأحباش لليمن، وسيطرتهم على مقاليد الحكم فيها، كما سجل لنا كذلك، أنه ولولا سياسة فرق تسد، فما كان لذلك أن يكون أبداً، فتحت مبرر حماية مسيحيي المملكة الحميرية دخل الأحباش إلى اليمن، وببذور الفتنة تفرقت القبائل ما بين يهودية ومسيحية، واشتعلت الفتنة والحرب، لينتهي الأمر باستقرار الأحباش في البلاد وسيطرتهم عليها. ولولا ذلك التفرق الداخلي الذي صنعه الأحباش مع بداية مشروعهم، ما كان لقوتهم أبداً أن تقدر على استكمال مشروعها في اليمن. وكممثلٍ للملك الحبشي في اليمن، تولى القيل اليمني آنذاك "شميفع أشوع" الحكم في البلاد، وهذا القيل نفسه قبل ذلك، كان حليفاً للملك الحميري "ذو نواس" في قتاله ضد الأحباش، ولكنها سياسة فرق تسد، حتى يكتمل مشروعك.

على نفس هذه الشاكلة، يسرد لنا التاريخ الكثير من الأحداث المختلفة، وينقل لنا كثيراً من المشاريع الخارجية، والتي كانت سبباً في تقسم الدول وتفرق مجتمعاتها، وأحداث اليوم ليست إلا تكراراً لمجريات الأمس، ومن لا يتعظ بماضيه، لا يجد الخير في حاضره. وكما ذكرنا آنفاً، فإننا نعيش اليوم في خضم فترةٍ تجلت فيها الكثير من الدول الطامعة، وبرزت مشاريعها الخارجية على أرضنا، وكسابقاتها تتغلف تلك المشاريع بغلاف المودة والمحبة، وتتغلغل في أوساط المجتمع ناشرةً البغضاء والكره ما بين أفراده، وكل ذلك بكثيرٍ من المسميات الكاذبة والأساليب الخبيثة، ويظل المجتمع مربط الفرس في كل ذلك دائماً، فمشاريعهم لن تبدأ إلا بتفكك هذا المجتمع، وهيا حين تبدأ لا تستمر، إلا باستمرار هذا التفكك وازدياده.

إن خطر المشاريع الخارجية على الأوطان، لا يقف عند استغلال خيرات الوطن واستعباد شعبه فقط، إذ أنهم يعلمون جيداً، أن وحدة المجتمع وتلاحمه خطرٌ على استمرار مشاريعهم الخبيثة، وبالتالي فإنهم كثيراً ما يسعون إلى تفريق ذلك المجتمع وتفكيكه، وذلك من خلال إثارة الفتن الطائفية والتحريض على العنصرية، وعبر نشر روح الانتقام بين مختلف المكونات المجتمعية، وهذا هو أخطر ما تواجهه الأوطان وتعانيه، من تلك المشاريع الخارجية على أراضيها. خلال فترة استعمارها للجنوب اليمني، استمرت بريطانيا في تفكيك المجتمع اليمني وتفريقه، إلى الكثير والكثير من المشيخات والإمارات والسلطنات، وصنعت كثيراً من القيادات لتلك المسميات المختلفة، والتي استمرت في بث الكراهية والانتقام ما بين أفراد المجتمع، وخلفت الكثير من الثأر والعداوات ما بينهم، فقط لأنها تعلم أن كل الحقيقة في "فرق تسد".

ختاماً: تستمر الأطراف الخارجية دائماً، في استخدامها لأساليب لا تنتهي، من أجل تفريق المجتمع واستمرارية مشاريعها، وكثيراً ما يصنعون قياداتٍ خائنة من أبناء البلد، فقط لتلتف حولهم الجموع، وتسير خلفهم في قتال بعضها بعضاً، في حين أن كل أولئك، ليسوا إلا أدواتٍ صنعتها مختلف الدول الأجنبية البغيضة والطامعة، من أجل أن يتيسر لهم استكمال مشاريعهم المختلفة، فلا يكفي أن تلتف الجموع حول قائدٍ يتشدق باسم الوطن، بل حول قائدٍ يعمل بجديةٍ لأجل هذا الوطن.